

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ
الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ
(32)﴾

شرح الكلمات:

{ فذللكم الله ربكم } هو الحق الذي لا ريب فيه، المستحق

للعادة وحده لا شريك له

{ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ } فأي شيء سوى الحق إلا

الضلال؟

{ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته والحق

هو أنه لا اله إلا الله.

المعنى الإجمالي :

قوله تعالى { فذللكم الله ربكم الحق } أي فذللكم الذي يرزقكم من السماء والأرض ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي المنفرد بالخلق والتدبير لجميع الأشياء، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو، ذو الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العظيمة والجلال والإكرام. ويدبر الأمر هو ربكم الحق الذي لا رب لكم سواه إذا { فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ } فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته إلى الضلال؟ وعن عبادة من هذا وصفه، إلى عبادة الذي ليس له من وجوده إلا العدم، ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

فليس له من الملك مثقال ذرة، ولا شركة له بوجه من الوجوه، ولا يشفع عند الله إلا بإذنه، فبما لمن أشرك به، ووبخا لمن كفر به، لقد عدمو عقوبتهم، بعد أن عدمو أديانهم، بل فقدوا دنياهم وأخراهم. ولا يوجد في الكون حقان، بل يوجد حق واحد، وما عداه هو الضلال؛ لذلك يقول الحق سبحانه: { فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ } [يونس: 32].

أي: أنكم إن انصرفتم عن الحق سبحانه وتعالى، فإلى الضلال، والحق واحد ثابت لا يتغير.

ومن عبد الملائكة أو الكواكب أو النجوم؛ أو بعض رسل الله عليهم السلام أو صنما من الأصنام؛ فقد هوى إلى الضلال.

والخطاب في اسم الإشارة للجمع؛ لأنه لا يخاطب به النبي وحده إنما يخاطب به الناس أجمعين وخصوصا المشركين، لأنهم الذين أقروا بالخلق وضلوا في العبادة.

وقوله { فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ } الاستفهام هنا إنكاري بمعنى نفي الوقوع وأن ذلك فكر لا يتصوره ويستكره العقلاء، والمعنى أنه ليس بعد الحق - وهو أن الرب المعبود هو الله وحده - إلا الضلال، فالأمر إما حق أو باطل ولا توسط بينهما مما تدعون من أوهم بأنهم شفعاء لله، فإن ذلك باطل في ذاته، وأنه سبحانه لا يتخذ عنده شفعاء لا ينفعون ولا يضررون، وإن لم يكونوا حجارة فإن منزلتهم من الله هي منزلة غيرهم على سواء.

تعظيم الله وإجلاله لا يتحقق إلا بأمور منها:

- 1- إثبات الصفات لله تعالى كما يليق به سبحانه، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.
- 2- أن نتعرف على نعم الله تعالى.
- 3- تعظيم كلامه، وتحقيق النصيحة لكتابه تلاوة وتدبرا وعملا.
- 4- تعظيم رسول الله وتوقيره، وتعظيم سنته وحديثه
- 5- ممن يجب تعظيمهم وإجلالهم: صحابة رسول الله، فيتين احترامهم وتوقيرهم، وتقديرهم حق قدرهم.

التوحيد وثماره:

- 1- أن التوحيد من أعظم أسباب انشراح الصدر في الدنيا.
- 2- أن التوحيد من أعظم الأسباب لتكفير الذنوب والسيئات.
- 3- أن الموحّد الخلق للتوحيد تحقيقاً تاماً كما جاءت به الرسل عليهم السلام، يحصل له الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة.
- 4- أن الموحّد من أسعد الناس بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.
- 5- أن التوحيد هو السبب الوحيد لنيل رضا الله ومحبه وثوابه.
- 6- أن التوحيد إذا وقع في قلب العبد وتمكن منه فإنه يُهَوَّن عليه المكاره والمصائب.
- 7- أن عذاب الله وعقوبته ونقمته وغضبه إذا نزل على قوم في الدنيا فإنه لا ينجو منه إلا أهل التوحيد وحزبه وأنصاره.
- 8- أن النصر والظفر والتمكين لهذه الأمة الخاتمة مرهون بسلامة معتقدها وتوحيدها لله تعالى وإفراده بالعبادة ونيل الشكر والبدع.

الشرك أعظم الذنوب وذلك لأمر:

- 1- لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية فمن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه به.
- 2- أن الله أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب منه قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) .
- 3- أن الشرك يحبط جميع الأعمال.
- 4- أن الشرك أكبر الكبائر.
- 5- أن الشرك تنقص وعيب نزه الرب سبحانه نفسه عنهما - فمن أشرك بالله قد أثبت لله ما نزه نفسه عنه وهذا غاية المخادة لله تعالى وغاية المعاندة والمشاقة لله.
- 6- أنه يوجب لصاحبه عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة:
- 7- أن التلبس به يوقع الفرد والمجتمع في ظلمات متراكمة.

فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (244)



فَوَالْبَاطِلُ يُظْلَمُ مِنْ تَفْسِيرِ السُّورَةِ الْيُسُفَى الْإِبْرَاهِيمِ 32

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أَعْدَهَا (عزمي إبراهيم عزيز)

قرار، فهو يجعل الإنسان عبداً للمخلوق.

10- أن الشرك لما كان أظلم الظلم وأقبح القبائح وأنكر المنكرات كان أبغض الأشياء إلى الله وأكرهها له وأشدّها مقتاً لديه، ورتّب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس.

11- أساس الشرك وقاعدته التي بني عليها هو التعلق بغير الله، ومن تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به، وعذبه به، وخذله من جهة ما تعلق به، وصار مذموماً لا حامد له، مخذولاً لا ناصر له كما قال سبحانه: {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} [الإسراء/22].

12- الوسائل التي تعين على تحقيق تعظيم الله

- 1- الإعتناء بتلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته.
- 2- التفكير في مخلوقات الله _ عز وجل؛ فيدرك من خلال ذلك عظمة خالقها . عز وجل .
- 3- الاعتناء بتحقيق توحيد الأسماء والصفات ومعرفة الله _ عز وجل _ وسبقت الإشارة لذلك.
- 4- ترك تعظيم المخلوقين ورفعهم فوق منزلتهم ، سواء أكانوا من أهل السلطان في الدنيا ، أم كانوا من الأولياء والصالحين .
- 5- الدعاء : وهو أنفع الأدوية وأقوى الأسباب متى ما حضر القلب وصدقت النية ؛ فإن الله لا ينجب من رجاه قال تعالى : {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة] .

كان سلفنا رضوان الله عليهم ينتصبون في الخدمة ، فلا يرعون السمع إلا لكلام الله، ولا يسلّمون القلب إلا لأوامر الله ، فإذا كانوا في الصلاة فلا تسل عن الخشوع والخضوع ، وإذا كانوا في الصيام فلا تقل عن الإخلاص والورع ، وكذلك في الذكر والصدقة..

أما حالنا فيندى له الجبين خجلاً.....

والله اعلم صلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

- 1- ليس بعد الحق إلا الضلال فلا واسطة بينهما فمن لم يكن على حق فهو على ضلال.
- 2- ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته.
- 3- من آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره.
- 4- تعظيم الله تعالى، وتعظيم شعائر الله تعالى وحدوده من أجلّ العبادات القلبية، التي يتعين تحقيقها والقيام بها، وتربية الناس عليها، وبالذات في هذا الزمان الذي ظهر فيه الاستخفاف والاستهزاء بشعائر الله تعالى، والتسفيه والازدراء لدين الله تعالى وأهله.
- 5- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً أهمية تعظيم الله سبحانه وإجلاله: "فمن اعتقد الوحداية في الألوهية لله سبحانه وتعالى، والرسالة لبعده ورسوله، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجه من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح.
- 6- إن روح العبادة هو الإجلال والاحبة، فإذا تخلّى أحدهما عن الآخر فسدت.
- 7- الشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل.
- 8- المشرك جاهل بالله لأنه ما قدر الله حق قدره ولهذا عبّد معه غيره، وهو ظالم لنفسه أشد الظلم، لأنه يصرف حق الله الخالص ويعطيه لغيره.
- 9- إن أكبر الكبائر الإشراك بالله تعالى، ذلك لأن الشرك ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض، وحجب متلاطمة لا يقر لها